الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد "حمّه لخضر" الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

محاضرات في إعجاز القرآن الكريم

مطبوعة بيداغوجية موجّهة إلى طلبة السنة الثانية ماستر

تخصّص: التفسير وعلوم القرآن

السّداسي: الثّـــالث.

إعداد الدكتور: ميلود عماره.

السنة الجامعية: 2018\2019

فهرس الموضوعات

مقدمـــــة..02
المحاضرة الأولى: تعريف المعجزة والمصطلحات الدّالة عليها...03
المحاضرة الثانية: إعجاز القرآن تأصيله ومفهومه... 08
المحاضرة الثالثة: مصطلحات متعلّقة بالإعجاز 14
المحاضرة الرابعة: التحدّي: مفهومه، أنواعه، والآيات الدّالة عليه. 16
المحاضرة الخامسة: ما المراد بالمثلية في موضوع التحدي؟..20
المحاضرة السادسة: علاقة الإعجاز بالعرب والشّعر الجاهلي. 23
المحاضرة السابعة: إشكالية بيان وجوه الإعجاز عند العلماء. 26
المحاضرة الثامنة: صفة الكلام عند الفرق الإسلامية وانعكاساتها على مفهوم الإعجاز. 28
المحاضرة التاسعة: نظرية القول بالصّرفة، وموقفنا منها...31
المحاضرة العاشرة: حيثيات الفرق بين المعجزات في الكتب السّماوية السّابقة والمعجزة القرآنية.........36
المحاضرة الحادية عشرة: الاختلاف في القدر المعجز من القرآن..40
المحاضرة الثانية عشرة: الإعجاز بالنّسبة للأعجمي ومن ليس ببليغ..42
المحاضرة الثالثة عشرة: هل وقع التحدّي للإنس دون الجن؟..44
قائمة المراجع: 47

مقـــدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين وبه أستعين وأصلي واسلّم على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، ثم أمّا بعد:

فقد أنزل الله هذا كتابه العظيم، على سيّد العالمين، بلسان عربي مبين، فبهر حينها الألباب وحيّر العقول والأبصار، لِما فيه من حقّ وجلال، فآمنت به بعض النّفوس صدقا وإيمانا، حين استجابت بفطرتها لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتكُم مَوْعِظَةٌ من رَبّكُم وَشِفَاءٌ لمَا فِي الصّدورِ وَهُدًى وَرحْمَة لِلْمُؤمِنِينَ ﴾ [يونس: 57]، وجحدت بعض النفوس كبرا وعنادًا، قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَجَحَدُوا بهَا واستَيقَنَتهَا أَنْفُسُهُم ظُلماً وَعُلُوّاً ﴾ [النّمل: 14]، إلاّ أنّ كلّ واحد من هذين الفريقين –مع رفعة بيانهم وسُموّ بلاغتهم– عَجَزَ أمام سِحر بيان القرآن وبديع نظمه وأسلوبه.

وفي سبيل توضيح معالم درس إعجاز القرآن الكريم، خصّصت هذه المطبوعة البيداغوجية لأبيّن فيها مسائل الإعجاز تنظيرا وتأصيلا، وذلك من خلال أقوال وآراء العلماء قديما وحديثا وهذه المطبوعة موجّهة إلى طلبة السّنة الأولى ماستر، تخصّص: التفسير وعلوم القرآن، وقد جاءت وفق برنامج التدريس في السّداسي الثّالث، ضمن وحدات التعليم الأساسية.

وحرصا من المؤلّف على أن يكون هذا العمل في متناول جميع الطلبة والطالبات؛ جاء أسلوب هذه المطبوعة سهلا واضحا، خالٍ من الغرابة والتعقيد، ليتسنّى للطالب الإحاطة بمجمل موضوعات إعجاز القرآن عامّة، مُحاولا الإلمام بمختلف المسائل التي أُثيرت حول الإعجاز ومفاهيمه، ووجوهه في الماضي والحاضر، وبذلك يتمكّن الطّالب من بناء مباحث الإعجاز على أصولها وقواعدها؛ كما لا يُهمِل في الوقت نفسه ما أملته المستجدّات والأبحاث المعاصرة.

وفي الأخير أسأل الله العلي العظيم أن ينفعَنا بها، ويوفّقنا لما فيه الخير والسّـــداد

ويمدُدْننا بعَونه وتَوفيقه، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد.

المحاضرة الأولى: تعريف المعجزة لغة واصطلاحا والمصطلحات الدّالة عليها

مصطلح المعجزة: المعجزة لغة من أَعجَزَ يُعْجزُ إِعْجَازًا فهو مُعْجِز، والتاء للمبالغة في إثبات العجز.

كما تدلّ مادة: "ع، ج، ز" على الضّعف، أو مؤخّر الشّيء.

يقال: عَجَزَ يَعجَز كضَرَبَ يَضرب بمعنى ضَعفَ عن الشَّيء ولم يقدر عليه، وعَجُزَ يَعجُزُ عُجُوزا كَكَرُمَ، بمعنى صار عجوزا. [1]

ويطلق لفظ: "المعجزة" على الآية التي أجراها الله تعالى على يد رسوله والتي يقدّمها النبي لقومه لتكون دليلا على نبوّته.

والمشهور عند العلماء أنّ المعجزة هي: الأمر الخارق للعَادة، السّالم من المعارضة، يظهره الله تعالى على يد رُسُله. [2]

فالمعجزة أمر خارقٌ للسنّة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصِل إليها عن طريق جهده الشخصي أو الجماعي وإنما هي هِبَة ربانية يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرّسالة. [3]

❖ **شروط المعجزة**[4]: لا تسمّى معجزة إلا إذا توفرت فيها خمسة شروط، وهي:

1- **خارقة للعادة**: ويعنى بهذا الشّرط، هو عدم خضوع المعجزة للسنّن الكونية التي عهد الناس جريانها في الأسباب الكونية المادية، والمقاييس البشرية، أي بمعنى خارقة لما ألفه النّاس وتعوّدوه.

لكن يجب التمييز بين الأمر الخارق للعادة، والأمر الخارق للعقل، ونعني بالخارق للعقل هو تعارضه مع المنطق البشري[5]، بشرط أن يكون هدا العقل سليم التفكير معافى من الأمراض التي تعيق تحكيمه تحكيما صحيحا.

فالعلماء عليهم الرّضوان ميّزوا بين الخارق للعادة والخارق للعقل، فالأوّل يقصد به: ما

يعجز عنه العقل فلا يعرفه، ولا يحكم عنه بنفي ولا إثبات، أما الآخر-الخارق للعقل- يقصد به: ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع.

فالخارق للعادة هي المخالفة لسنن الكون: كعدم إحراق النّار، ومشي الإنسان في الهواء دون أن يسقط، وقلب العصا حيّة، وأضراب ذلك.

أمّا الخارق للعقل: كإثبات الألوهية لأكثر من إله واحد، فالمنطق السّليم والتفكير الصّحيح ينفي بشدّة تعدّد الآلهة لأنّ هذا النّظام الكوني التكامل على مرّ العصور لا يمكن عقلا أن يسيّره أكثر من إله واحد، وإلا لاختلفوا، وفسدت السّماء والأرض. قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22].

لذلك الرّسل رضوان الله عليهم أتوا بالنوع الأوّل –محارات العقول- ولم يأتوا بالآخر –محالات العقول-.

وتبيانا لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- ((أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوّره ومعرفته، فالأوّل: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرّسل يخبرون بالثاني.))[1]

يعني أنّ الشريعة لا تأتي بشيء تنكره العقول وتحيله، لكن تأتي بشيء تتحيّر فيه العقول ولا تدركه على انفراده، فالعقل الصّحيح الصّريح يوافق النّقل الصّحيح.

2- **أن تكون المعجزة من فعل الله تعالى:** لا ينبغي إطلاق لفظ المعجزة في الشريعة على كل خوارق العادات إلا على الآية الربانية، لذلك فإنّ من شرط المعجزة أن تكون من فعل الله عزّ وجلّ، ومعنى ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده من يجري المعجزة على يد النبي، والنّبي لا اختيار له، ولا قدرة له على إجرائها، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨ ﴾ [غافر:78] وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:109].

3- **أن تظهر المعجزة على يد النّبي:** لأنّ النبي هو الذي يقدّم نفسه لقومه باعتباره نبيّا مرسلا من عند الله تعالى، فيكرمه الله تعالى بالدّليل المؤّيد له، وقد ذكر العلماء أنّ من شروط المعجزة أن تقع على مقتضى دعوى من يدعيها؛ وإذا لم تقع موافقه للدّعوى فإنّها

تسمّى: "**إهانة.**"، أمّا الأمور العجيبة من السّحر والكهانة والحيل الشّيطانية ليست من هذا الباب لأنها ليست من فعل الله تعالى، وليس تصديقا من الله تعالى لصاحبها، وليست دليلا على رضى الله سبحانه وتعالى عنه.

أمّا إذا قدّم الله تعالى لأحد عباده أو أولياءه الصالحين خارقة من خوارق العادات فإنها تسمى: "**كرامة**" [1].

4- **أن تكون سالمة من المعارضة:** ونعني بالمعارضة هو استطاعة الإتيان بمثل المعجزة، وهو معنى به تصبح المعجزة باطلة ولا معنى لها، لذلك فإنّ من شروط المعجزة أن يعجز أعداء النبي عن معارضتها، ولا يستطيعون الإتيان بمثلها، إذ لو تمكّن الخصم من معارضتها لفقدت معناها وبالتالي لا يصدّق النّبي في دعواه.

5- **أن تكون المعجزة بعد دعوى النبوّة:** أي أنّ المعجزة تكون بعد أن يبعث الله تعالى نبيه إلى قومه ليقدّم لهم رسالة الله وشريعته، و بعد دعوى النبوة أما إذا وقعت الخارقة للعادة قبل أن يجريها الله تعالى على يد نبيه فإنها لا تسمّى معجزة بل تسمى: "**إرهاصا**"[2]، ككلام عيسى عليه السّلام في المهد، وكتظليل السّحابة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو في سفره إلى الشّام قبل البعثة.

- **من المؤلّفات القديمة والمعاصرة في إعجاز القرآن:** [3]

1- النّكت في إعجاز القرآن: لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني "ت384هـ" وهو رسالة طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

2- بيان إعجاز القرآن: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، ت386هـ رسالة طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

3- إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت403هـ

4- الرّسالة الشافية:

لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني "ت471هـ" وهي رسالة موجزة لكنّها شاملة قرّر فيها أنّ الإعجاز ثابت عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن وقرّر أنّ العبرة بعجز العرب المعاصرين لنزوله دون المتأخّرين عن زمانه ورد على القول بالصّرفة، وتقع هذه الرّسالة في حوالي 40 صفحة، وطبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

5- دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني أيضا.

6- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: للفخر الرازي: "ت606هـ" اختصر فيه كتابي: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني.

7- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: لعبد الواحد الزّملكاني "ت651هـ"، وللمؤلف نفسه أيضًا كتاب: "التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" طبع في بغداد أيضًا عام 1383هـ.

8- معترك الأقران في إعجاز القرآن: لجلال الدين السّيوطي "ت 911هـ" طبع في ثلاثة مجلدات الطبعة الأولى 1408هـ.

- وأمّا **المؤلفات الحديثة**:

فكثيرة جدًّا في مختلف أوجه الإعجاز، أذكر منها:

1- إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية:

للأستاذ مصطفى الرّافعي "ت1356هـ" طبع عدة مرات في مصر. وهو من أجود المؤلّفات في موضوعه قديمًا وحديثًا.

2- النّبأ العظيم: د. عبد الله دراز "ت1377هـ" وهو كتاب في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، يقع في 216 صفحة

3- مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم.

4- فكرة إعجاز القرآن: تأليف نعيم الحمصي وهو في أصله مقالات نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

5- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الدين الخالدي.

المحاضرة الثانية: إعجاز القرآن؛ تأصيله ومفهومه.

إنّ قضية الإعجاز القرآني من أولى القضايا التي اتجه العلماء إلى دراستها، وبذلوا جهوداً كبيرة في تحقيقها، والكشف عن أدلتها، وتتبع الوجوه التي بها يتحقق معناه، إذ هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الاعتقاد الإسلامي الصحيح تجاه المصدر الأول للتشريع، ألا وهو القرآن الكريم ليحقّق طمأنينة قلب المسلم ويتشبّع فكره، ويصل بعقله إلى اليقين بأن القرآن الكريم معجز للبشرية جمعاء على اختلاف زمانهم ومكانهم وألسنتهم.

وقد لخّص العلماء تاريخ إعجاز القرآن في أربعة مراحل هامة، ومحطات رئيسة، تُعدّ دراسة تأصيلية لنشأة الإعجاز وتطوره عبر عصوره المختلفة، وفيما يأتي ذكر لهذه المراحل.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل ظهور المصطلح:

وتتمثّل هذه المرحلة في الصّحابة الكرام والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وتشمل أيضا المتكلمين الأوائل.

وهي مرحلة لا يمكن للدّارسين والباحثين إهمالها ولا سيما أنّ قضيّة الإعجاز متعلّقة بمصدر الشّريعة الأوّل ألا وهو القرآن الكريم، وبخاصة أنّ أصحاب هذه المرحلة كانت لهم العناية البالغة بهذا المصدر، فيبعَد من حيث الوقوع أن يُسبق هؤلاء إلى شيء يتعلّق بالقرآن الكريم ثمّ لا يتنبهون إليه، ولا يشيرون إلى ما يدلّ على أهميته وفضله.

يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في سبيل بيان علم السلف والقرون المفضلة: فإنّهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفّوا، ولَهُم على كشف الأمر كانوا أقدر.

لذلك يذكر العلماء، ومنهم محمود شاكر أنّ مرحلة الصّاحبة والتابعين لم تتطرّق بحال إلى قضايا الإعجاز لا بمصطلحه ولا بمفهومه وفي هذا يقول: ((أمّا الصّحابة والتابعون فيقينٌ حاسِمٌ لم يتكلّموا ولم ينظروا في شيء من ذلك، ولا في شيء مثله.)) [1]

ويقول أحد الباحثين في التأريخ لقضية الإعجاز: ((إنّ لفظ الإعجاز لم يرد في القرآن ولا في السنّة، وإنما جاء في القرآن وفي السنّة أنّ ما يعطيه الله جلّ وعلا للأنبياء والرّسل وما آتاه محمّدا صلى الله عليه وسلّم هو آية وبرهان على نبوّته...وإنما هو لفظ حادث، ولابأس

باستعماله إذا عُني به المعنى الصحيح. ⁾⁾ [1]

2أمّا ما حدث في فترة ما بعد الصّحابة الكرام من العقائد المنحرفة وظهور الفرق الضالة كالمعتزلة الأوائل، فيقول محمود شاكر مؤصّلا للإعجاز القرآني في هذه الفترة في كتابة المداخل بقوله: ⁽⁽ حتى إذا انقضت المئة الأولى من الهجرة وانتصفت المئة الثانية أو كادت جاء واصل ابن عطاء الغزال البليغ الألثغ، فاعتزل وشقّ "الكلام" للمتكلّمين من بعده، وصار هو رأس المعتزلة، ومبدأ طريقهم ... وكان حياته مشغولا بالكلام في القدر والصّفات، وأفعال العباد والمنزلة بين المنزلتين، وهي أصل عمل المتكلّمين، ولا يعرف له قول في آيات الرّسل، ولا في القرآن العظيم. ⁾⁾ [3]

- خصائص هذه المرحلة:

1- التوقّف في فهم الشّرع والتعبير عن مصطلحاته إلا بدليل أو مستند شرعي مبيَّن، وفي المقابل يتحرّز السَّلف من الابتداع والإحداث في الدّين بإطلاق ألفاظ جديدة لا تنطبق عن مفهوم حقيقة ما أمر به الدّين الحنيف.

2- أنّ قضايا مصدرية القرآن، وكونه كلام الله، وأنّ بيانَ القرآن فاق كلَّ بيان؛ هي قضايا مسلّمة بالنسبة لأهل هذه المرحلة حتى ظهور حركة الزندقة ومن تصدى للردّ عليهم، وعليه فلا حاجة للكلام عما لا فائدة منه.

المرحلة الثانية: مرحلة تمخّض المصطلح:

تكمن أهمية هذه المرحلة فيمن كان متسبّبا في كثير من المصطلحات المتعلقة بالبلاغة عموما، وبإعجاز القرآن خصوصا.

يقول محمود شاكر بعد دراسة الإرهاصات الأولى التي مهدت لظهور المصطلح، ووصل إلى وجود جلي لعلمين بارزين هما الجاحظ والنظام، يقول: فالأمر البيّن الذي لا يستره إبهام ولا غموض هو أنهما الجاحظ والنظام هما اللّذان كانا أوّل من وضع هذا الشّرط: " مدار الآية على عجز الخليقة"

ومع وجود بعض الإشارات في عناية واهتمام الجاحظ والنّظام بمسائل حجج النّبوة ودلائل الأنبياء؛ لا يمكننا القطع والجزم بأنّ أوّل من استعمل المصطلح هو الجاحظ.

لكن الشيء المتأكّد هو أنّ الجاحظ كان أعظم في شأن الإعجاز من النظام وعظمته تكمن في ((براعته وبيانه ومساهمته في وضع ألفاظ عظيمة الوقع في النفوس بإبهامها واستثارتها ونثرها في جمل بارعة الصّياغة متألّقة الألفاظ فجاءت مثيرة لكوامن الخواطر قريبة الإيماء بالمعاني البعيدة، ثم بثها في سياق كلامه، فمهّد لغيره أن يتناول القضية تناولا يعينه على أن يصوغها صياغة قابلة للإثبات.))[1]

ومع هذا لم يرد لفظ الإعجاز أبدا في كلام الجاحظ، فلم يستعملها، ولا استعملها أحد من معاصريه من علماء الأمّة على اختلافهم.

فكان الجاحظ بذلك هو الذي حرث وزرع وسقى، وترك جني تلك الألفاظ ثمّ صياغتها على شكل مصطلحات علمية.

يقول فضل حسن عباس: ((يغلب على ظننا أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ، والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده من اللغة))[2]

- خصائص هذه المرحلة:

1. في هذه المرحلة بدأت تظهر ملامح الكلام عن آيات الأنبياء والاستدلال لها، والسبب يعود إلى عدة أسباب، منها: ظهور حركة الزندقة التي اضطرّ أهل الكلام إلى مناقشتهم.
2. ظهور بعض المصطلحات التي وضعها المتكلمون في أثناء خصوماتهم والتمهيد لمصطلحات كان لها بعد ذلك لها الأهمية البالغة، ومنها مصطلح: "إعجاز القرآن".
3. بداية الحديث عن وجوه الإعجاز، كوجه الصَّرفة مثلا، التي نسبت إلى النظّام، والتي أحدثت جدلا واسعا بين النافين لمضمونها والمثبتين له. كما بدأ الكلام في هذه المرحلة عن نظم القرآن وبيانه.

المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور المصطلح:

كان الرجل المتسبّب في ميلاد مصطلح الإعجاز هو أبو عبيد الله محمّد بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت 306هـ)، وهو أوّل من أنشأ كتابا يحمل عنوانه لفظ: "إعجاز القرآن"، إلا أنّ هذا الكتاب لم يُعثر عليه، لهذا يذكر كثير من العلماء أنّ الواسطي هو أوّل من ولّد مصطلح الإعجاز.

يقول صلاح الدين الخالدي: « ولعلّ أوّل من استعمل مصطلح الإعجاز كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري، وقد ذكر العلماء أنّ الواسطي المعتزلي أوّل من ألّف في الإعجاز، حيث ألّف كتابا سمّاه: "إعجاز القرآن"»[1]

– **خصائص هذه المرحلة:**

1. ظهور مصطلح: "إعجاز القرآن" على يد الواسطي.
2. اعتناء العلماء بالتحدّث والتصنيف في آيات الأنبياء عموما، ومعجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا.
3. بداية التأليف المستقلّ في إعجاز القرآن.

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد ظهور المصطلح:

وتمثل هذه المرحلة بداية التأصيل والتقعيد لعلم الإعجاز، بعد بزوغ شمسه وإلف مصطلحه وتبدأ هذه المرحلة من: **الرّماني المعتزلي** (ت 384هـ)، وكتابه: "النكت في إعجاز القرآن"، وهذه الرسالة تعد نموذجا لنظرية الإعجاز عند المعتزلة، أما عن وجوه الإعجاز المعتمدة عند الرماني فيمكن تلخيصها في ثلاثة أوجه: البلاغة، والإخبار الصادق عن المستقبل، والصّرفة.

ثم تلاه: **أبو سليمان الخطابي البُستي،** (ت:388هـ) ورسالته: "بيان إعجاز القرآن"، التي حاول من خلالها الوقوف على حقيقة البلاغة القرآنية، يقول محمد أبو موسى: « ولأجل هذا كان الخطابي أول من أدار درس الإعجاز البلاغي – فيما نعلم- على غير الوجه الذي أداره عليه غيره فلم يتكلم في التشبيه ولا الاستعارة ...وغير ذلك مما ألف الناس الخوض فيه حين يتكلمون عن الإعجاز البلاغي...وإنما حاول الخطابي أن يقع على البلاغة القرآنية التي هي كخلق الإنسان، ورفع الأرض، ورفع السماء من غير عمد ترونها. »[2]

ثم جاء الإمام **أبو بكر الباقلاني،** (ت: 403هـ) وكتابه: " إعجاز القرآن " الذي يعد صورة لما انتهى إليه مفهوم الإعجاز في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين.

والباقلاني لا يرى الإعجاز في النظم والتأليف العجيب فقط، وإنما يرى الإعجاز في كل ما جاء به القرآن، وهو ما يسمى بالإعجاز الشمولي.

ومن الأعلام الذين أسسوا لدرس إعجاز القرآن: **القاضي عبد الجبّار المعتزلي** (ت: 415هـ) من خلال كتابه: المغني في أبواب التوحيد والعدل، الذي خصص فيه الجزء السادس عشر لإعجاز القرآن ويقرر القاضي عبد الجبار من طريقه أن خروج القرآن على قدر الفصاحة المألوفة عند العرب يوجب كونه معجزا، كما اعتبر أن المعجزات المادية والحسية لا يمكن الاعتماد عليها لإثبات صحة النبوة بل تعتمد المعجزة الباقية وهي القرآن الكريم.

ليأتي بعدها **عبد القاهر الجرجاني** (ت: 471هـ) ممثلا لجوهرة القرن الخامس الهجري في إضافة قيمة تأسيسية لبناء صرح الإعجاز وذلك من خلال كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة الذي بين من خلالهما أن القرآن الكريم معجز بنظمه وبنظرية النظم اشتهر الجرجاني، في حين نفى وجوه الإعجاز الأخرى، وبهذه الفكرة بان تأثر الزمخشري مستوعبا مضامينها ومحتواها وقد طبق نظرية النظم في تفسيره الكشاف.

ويمكن أن نقدّم تلخيصا موجَزا لأهمّ القرون التي شهدت نهضة في إعجاز القرآن عبر تاريخنا الإسلامي:

الأول: **القرن الرابع الهجري**: يمثّل هذا القرن مرحلة ميلاد المصطلح، وذلك على يد الواسطي المعتزلي.

كما شهد مرحلة التأسيس والتأصيل لأفكار وآراء جديدة في الإعجاز، وقد حمل لوائها عالمان هما: الرّماني والخطابي.

الثاني: **القرن الخامس الهجري**: شهد تفصيل القول في وجوه الإعجاز، وبسط الأدلّة عليه، وتمّ ذلك على يد العلماء الثلاثة: أبو بكر الباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وعبد القاهر الجرجاني.

الثالث: **القرن الرابع عشر الهجري**: شهد توسّعا كبيرا في الكلام على قضايا الإعجاز،

على أيدي علماء وأدباء وباحثين فكثر التفصيل في حقيقة الإعجاز، وبيان وجوهه وألوانه وفي أمثلته وتطبيقاته.

* **أهم دعاة الإعجاز البياني**: مصطفى صادق الرفاعي، عبد الله دراز، أمين الخولي، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، فاضل السامرائي، وغيرهم.

* **أهم دعاة الإعجاز العلمي**: عبد الله فكري، علي فكري، عبد الرزاق نوفل، طنطاوي جوهري، وغيرهم.

المحاضرة الثالثة: مصطلحات متعلّقة بالإعجاز.

لم يظهر مصطلح المعجزة إلا في وقت متأخّر عندما دوّنت العلوم؛ علوم العقائد، في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري.

وهذا ما يدعونا إلى ذكر المصطلحات التي كانت شائعة قبل مجيء مصطلح المعجزة، وهي قريبة في مفاهيمها ودلالاتها إلى ما تعنيه المعجزة، كمصطلح: الآية، والسّلطان، والبرهان وغيرها، وفيما يأتي ذكر مفصّل لهذه المصطلحات:

1- **مصطلح الآية**: الآية هي العلامة الظاهرة التي تدلّ على صحّة الدّعوى وكثيرا ما أطلق القرآن الكريم لفظ الآية على معنى الخوارق والبراهين.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾ [الأعراف: 106].

كما استعمل القرآن الكريم مصطلح "الآية" في سياق إعطاء الدلائل للرّسل عليهم الصّلاة والسّلام لمحاجّة أقوامهم.

قال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام: 109].

ففي آخر القرن الثالث الهجري بدأ يزاحم لفظ الآية لفظ المعجزة حتى مجيء القرن الرابع الهجري فبدأ استعمال معجزات الأنبياء كاستعمال آيات الأنبياء، ثم تزاحم اللّفظان حتى غلب لفظ "المعجزة" لفظ "الآية" حتى كاد يختفي.

2- مصطلح البيّنة: وتعني في عرف القرآن: الدّلالة الواضحة الجلية عقلية كانت أو حسيّة قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: 73].

3- مصطلح البرهان: استعمل القرآن الكريم مصطلح "البرهان" في غير ما موضع، ويعني به: بيان الحجّة، وهو أوكد الأدلّة، ويقتضي الصّدق لا محالة. (1)

قال تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القَصص: 32].

4- مصطلح السّلطان: من المعاني التي يطلق عليها لفظ "السّلطان" هو الدليل والحجّة، لأنّها تستولي على القلب وتوجب الإذعان بالأمر، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [إبراهيم : 10]. بمعنى: فأتونا بحجة على ما تقولون تُبين لنا حقيقتَه وصحتَه، فنعلم أنكم فيما تقولون محقُّون، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣﴾ [غافر: 23].

5 - **مصطلح الإبلاس:** الإبلاس في اللّغة حالة طارئة تعتري النفس من أمر يأتي بغتة فتقطع لها حركة حسّه.

وهو عبارة عن دهش وسكون ووجوم وإطراق أحدثته مباغتة الآية عند المعاينة ثم تسليم قاطع تستيقنه النّفوس بأنّها فعل ممتنع على هذا النّبي المرسل وعلى جميع الناس.

والفرق بينه وبين المعجزة أنّ العَجز هو ضَعف يدركه المرء من نفسه عن بذل جهد ومعالجة أما الإبلاس هو إحساس غامر بالحيرة والدّهش والانقطاع تمنع المرء عن كلّ جهد ومعالجة.

ومنه يفهم أنّ مصطلح الإبلاس أصدق اللّفظين دلالة على ما يأخذ المشاهد عند معاينة الآية بغتة، لذلك نقول إنّ آيات الأنبياء قبل نبوّة محمّد صلى الله عليه وسلّم من قبيل الخوارق التي أبلست أقوامهم وأدهشتهم، ووقفت لها جوارحهم وإحساسهم، أمّا القرآن الكريم فآيته معنوية مشاهدة بالبصيرة، ومدركة بالتذوّق لذلك فمصطلح الإعجاز هو أصدق في الدلالة على معنى الضّعف والقصور الذي يجده المرء من نفسه وبعد تفكر

وتبصّر.

المحاضرة الرابعة: التحدّي: مفهومه، أنواعه، والآيات الدّالة عليه.

أنزل الله تعالى كتابه المبين على سيّد المرسلين محمّد عليه الصّلاة والسلام، ليبين للنّاس ما نُزّل إليهم من أحكام وهدايات تخرجهم من الظلمات إلى النور، وتهديهم إلى صراط مستقيم وهذه هي الغاية الكبرى من إنزال القرآن، لكن لما كفر بالقرآن المعاندون والمكابرون، وقالوا: إنْ هذا إلا قول البشر، وقالوا: لوْ شئْنا لقلْنا مثل هذا، إنْ هذا إلا أساطير الأولين، حينها تحداهم القرآن -إن كان ذلك كما تقولون- فأتوا بمثل القرآن، أو حتى بعشر سور من مثله، أو حتى بسورة من مثله.

لذلك وجب على دارس الإعجاز أن يفهم طبيعة هذا التحدي، وأنواعه، وعلاقته بالإعجاز وما هي الآيات الدالة عليه، وفيما يأتي تفصيل فيما سبقت الإشارة إليه.

تعريف التحدّي: يقال في اللّغة فلان يتحدّى فلان، بمعنى: يباريه وينازعه الغلبة، وحداه وتحدّاه: تعمّد الأمر، وتَحَدَّاهُ وتَحَرَّاهُ بمعْنىً واحِدٍ. [1]

أمّا في الاصطلاح فيطلق التحدي على معنيين متباينين:

أ- المتحدّي هو الذي يقصد أن يعارض بفعله خصما **طالبا بذلك إظهار قدرته وتفوّقه،** عن طريق معارضة يرتكبها هو نفسه.

وهذا المعنى قليل جدّا استعمال لفظ التحدّي فيه. أمّا المعنى المستفيض على ألسنة الناس إلى اليوم فهو عكس هذا المعنى بلا ريب.

ب- هو أن تفعل أنت فعلا، ثمّ تطالب خصمك أن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنّه غير قادر على مثل هذا الفعل **طالبا بذلك إثبات عجزه** وضعفه عن مساماتك وغلبتك.

والذي نفهمه من هذا أنّ التحدي جاء به القرآن موجّها في الأصل للكافرين المنكرين الجاحدين فقط، لأنّهم لما أنكروا وجحدوا وقالوا لو شئنا لقلنا مثل هذا طلب منهم القرآن ما ادّعوه، وليست دعوة القرآن أساسا للتحدي، وإلا لكان المصطلح الأنسب لمضمون هذا

التحدي هو التعجيز وليس الإعجاز.

❖ هل التحدّي يعدّ شرطا في المعجزة أو لا؟

اختلف العلماء في هذا فبعضهم عدّ التحدي شرطا أساسيا من شروط المعجزة، فلا تسمّى معجزة إلا إذا كانت مقرونة بالتحدي، لذلك يضيفون إلى تعريف المعجزة ضابط التحدّي: "... المقرون بالتحدّي..."، وبعضهم لم يعتبر التحدي من شروط المعجزة لأنّ التحدي ليس موجودا في المعجزات كلّها.

فالذين اشترطوا التحدي قالوا بأنّ عدم التحدي لا يبرز المعجزة كدليل وبرهان، وأن عدم الإتيان بمثلها لا يتحقق فِعْليا إلا إذا أعلن عن التحدي لكلّ الناس، وبأدلّ وأوضح عبارة حتى لا يقول قائل بعد ذلك: لو تُحُدي بالمعجزة القوم لتمكّنوا من الإتيان بمثلها.

وقسموا التحدي على قسمين: **أ- تحدي صريح**: كالوارد في آيات التحدي بقوله تعالى: "فأتوا بمثله..".

ب- تحدي بالقوّة: وهو التحدي غير الظّاهر، لأنّ المقام لا يستدعيه، لكنّه لو وُجِد هذا لأفحم المتحدّى به.

أما غير المشترطين للتحدي في باب المعجزات فقد قسّموا المعجزات في موضوع التحدي على قسمين: **أ- معجزات مقرونة بالتحدي**: كناقة صالح، وعصا موسى عليه السلام، وإحياء عيسى عليه السّلام للموتى.

ب- معجزات ليس فيها التحدي: وهي تلك المعجزات التي يوجهها النبي صلى الله عليه وسلم لاتباعه المؤمنين به، كالمائدة التي أنولها الله تعالى للحواريين بعد دعاء عيسى عليه السلام وكتسبيح الحصا، ونبع الماء من أصابع النبي عليه الصلاة والسلام. فهذه موجهة للمؤمنين وطبيعة التحدي موجه للمنكرين المكابرين المعاندين، لذلك فلا يوجد حكمة من تحدي النبي عليه الصلاة والسلام لمن صدّقه وآمن به. ولأنّ القرآن الكريم جاء هداية ورحمة للنّاس وليس ليتحداهم أو ليعجزهم.

وقد فرّق بعض العلماء بين الخارقة التي يتحدى بها النبي قومه باعتبارها آية صدقه وبرهانه وبين الخارقة التي لا تقترن بالتحدي وتقع بين المؤمنين فأطلقوا على الأولى: "**معجزات الأنبياء**" وعلى الأخرى: "**دلائل النّبوة**".

ومن ذلك ما ذكره ابن حجر في فتح الباري ضمن باب علامات النبوّة حيث قال: ((العلامات جمع علامة وعبّر عنها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعمّ من المعجزة والكرامة والفرق بينهما أنّ المعجزة أخصّ لأنّه يشترط فيها ان يتحدى النبي من يكذّبه.))[1]

- **آيات القرآن الدّالة على التحدي:**

من علامات صدق القرآن وصحته، هو أنه تحدى الخلق من أنس وجن أن يأتوا بأحسن منه فلم يطيقوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو معارضته، ثم لم يزل يتنزل معهم بالتحدي فلما عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن تحّداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، فلمّا عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، ثم تحدّاهم أن يأتوا بحديث من مثله فعجزوا:

قال سبحانه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[القصص:49] .

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:88] .

ثم قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود:13] .

ثم قال جلّ جلاله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة:23] .

وقال تبارك اسمه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس:38] .

ثم قال سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:34] .

ومن خلال آيات التحدي يمكن الوقوف على الملاحظات التالية : [1].

1) طول فترة التحدي والتقريع واستمراها في العهد المكي والمدني .

2) وردت آيات التحدي في سياق واحد، وهو النقاش والجدال مع الكافرين في أمر النبوة والرسالة ومصدر القرآن.

3) كان يسبق آية التحدي إشارة إلى شك الكافرين في القرآن وزعمهم انه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يتبعها إشارة إلى مصدر القرآن وإثبات أنه كلام الله تعالى .

4) إعطاؤهم مهلة يفكرون بها طويلاً، ويستعينون بكل من يختاروا من البشر من أعوانهم ومساعديهم وشهدائهم للاستعانة بهم، وذلك لإثبات عجزهم عن الإتيان بمثله حتى لو استعانوا بغيرهم .

المحاضرة الخامسة: ما المراد بالمثلية في موضوع التحدي، هل في الذات أو في الصفات؟

هذه المحاضرة تحاول الإجابة عن إشكال قد يواجه الطالب لفهم قضايا الإعجاز القرآني وهي مسألة تتلخّص في تفسير المراد من المثلية الواردة في الآيات القرآنية المتضمنة لموضوع التحدي، والتي منها قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:23] . ومنها أيضا قوله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:88].

فمـا المـراد بالمثلية؟ وهـل هي في الذّات، أو في الصّفات، أو فيهما جميعـا ؟؟

لنجيب عن هذا لا بدّ أن نورد بعض الأقوال المفسّرة لمعنى المثلية في الآيات السّالفة؛ حتى يتسنى لنا الفهم الصحيح المفضي إلى الاستنباط السديد بحول الله تعالى.

أ– هو مثل مقدّر مفروض لا يمكن للعقل تصوّره، لأنّ الآيات بدأت بافتراض اجتماع الإنس والجنّ

وهذا الافتراض لا يمكن تصوره عقلا، مما يعني أن نتيجة هذا الافتراض – وهي المجيء بمثل القرآن– لا يمكن تصورها عقلا، لأنّ الكلام مسوق مساق التعجيز.

وقد رُدّ على القول بالافتراض بالأدلّة الآتية:

1– هذا القول خلاف ظاهر الآية إذ لو كان افتراضا لكان نظم الآية بلفظ: "لو اجتمعت" بدل لفظ: "لئن اجتمعت"، وإنما هو ممكن لأن أداة الشرط "إنْ" تدلّ على الإمكان وعلى عدم الإمكان، بخلاف "لو" الدالة على فرض ما ليس بواجب، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:22].

2– المراد بقوله:﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:88]. هو نفي لقدرة الجنّ والإنس مجتمعين عن الإتيان بمثل القرآن وليس المراد مطالبتهم بالإتيان بمثله، إذ ليس في الكلام ما يدلّ على هذا، فمعنى " لايأتون" جاء ليثبت عجزهم عن الإتيان بمثله.

والقول بالافتراض هو قول الأشاعرة والتي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية أنها خلاف ما في القرآن وخلاف ما أجمع عليه المسلمون بل العقلاء.

وكذا ذهب ابن عاشور مذهب الأشاعرة في هذا الموضوع حيث قال في تحريره: ((فالتحدي على صدق القرآن هو مجموع مماثلةِ القرآن في ألفاظه وتراكيبه، ومماثلة الرسول المنزَّل عليه في أنه أمي لم يسبق له تعليم ولا يعلم الكتب السّالفة ... فذلك معنى المماثلة.))[1]

وقد رجّح ابن عاشور في تفسيره لمعنى "مِن" الواردة في بعض آيات المثلية كونها ابتدائية، أي: سورة مأخوذة من مثل القرآن أي كتاب مثل القرآن في حين ضَعَّف معنى التبعيضية فيها كما أجاز عود الضمير في "**مِثلِهِ**" على المنزّل عليه وهذا ما رفضه أكثر المفسّرين. [2]

وبعضهم فسّر المثلية بالتطابق في غالب الأوجه كما جاء قوله تعالى : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[آل عمران:140].

يقول الطبري في تفسيرها : ((فالمعنى إن يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر.))[3]

فمضمون المثلية هنا ليس المطابقة التامّة، بل الأمر على الغالب إجمالا، ويعزز هذا قول الألوسي: ((فالمثلية هنا باعتبار كثرة القتلى في الجملة، فلا يَرِد أن المسلمين قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وقتل المشركون من المسلمين يوم أحد خمسة وسبعين، وجرحوا سبعين والتزام بعضهم تفسير القرح بمجرد الانهزام دون تكثير القتلى فراراً من هذا الإيراد.))[4]

ويفيدنا الزركشي بمسألة التدريج في المماثلة بحسب الزيادة في الصفات، فالمماثلة عنده ((بين الذوات المتنائية إنما تكون باعتبار الصّفات الجامعة بينهما إذ هي أسباب في ثبوت المماثلة بينهما، وتقوى المماثلة بقوّة أسبابها، وتضعف بضعفها، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى الذاتين عن الأخرى انتفي وجه من المماثلة، ثم لا يزال يسلب أسباب المماثلة أقواها فأقواها حتى تنتفي المماثلة كلها بهذا التدرّج.))[5]

ففي ضوء هذا الرأي يفهم أنّ المثلية عندهم لا تستلزم التساوي في كلّ الوجوه، بل إن المثَل يفيد الاشتراك في بعض الصّفات أوفي أغلبها، حتى أنّ بعضهم يلمح التماثل من الصفة الواحدة كما عند قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف: 110]: معناه: في البشرية. (1)

وبعضهم فسّر المثلية بالتطابق بين المثل ومثيله أصلا وحقيقة، نحو ما جاء في قوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 184]، فالمثلية هنا توحي بالتطابق التام في صورة الاعتداء، الذي به يتحقق العدل الإلهي المنشود، وقد ألمح البيضاوي إلى هذا في سياق تفسيره لقول الله تعالى حكاية عن السحرة: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [طه: 58] أي: « مثل سحرك. »(2)

لكن تعقّب على هذا بأنّ المراد بالمثل هو القيمة، يعني: قيمة المغصوب بالاتفاق فوجب الحمل عليه(3)، ووُجّه المثل الوارد في سورة طه على أن المراد إحضار السّحرة وليس قوة السّحر يقول ابن عاشور: « والمماثلة في قوله مثله مماثلة في جنس السّحر لا في قوته. »(4)

لذلك نقول بأنّ الرأي الذي ترجّحه الأدلة، وتميل إليه الاستعمالات القرآنية وتتواتر على ذكر أئمة التفسير أن المعنى المراد بالمثلية هي في صفاته وليس في ذاته، يعني فاتوا بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة والأسلوب المعجز. (5)

المحاضرة السادسة: علاقة الإعجاز بالعرب والشّعر الجاهلي.

اختار الله تبارك وتعالى العرب دون غيرهم من الأمم الأخرى ليقيم عليهم الحجّة بواسطة نبي من أنفسهم ما يدعونا إلى تتبع علاقة إعجاز القرآن وتفوّقه على كلّ بيان بالقوم الذين نزل فيهم القرآن وسمعوه مباشرة من الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم، فلا بدّ من وجود حكمة إلاهية في هذا التدبير، ولله تعالى وحده الحكمة البالغة.

وفي النقاط الآتية تتبع لخصائص العرب بما له صلة بموضوع الإعجاز القرآني:

1- قدرة العرب على الفصل بين أنواع الكلام: إنّ هؤلاء العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم كانوا إنما اختصّوا بذلك من دون سائر الأجناس لشيء اقتضته حكمة الله تعالى وذلك لأهلية كانت فيهم بحيث استحقّوا أن يكونوا أولى الخلق بأن تُنَزَّل فيهم هذه الآية المتلوّة الخالدة.

يقول محمود شاكر مبيّنا هذا المعنى: « فمحالٌ أن يفجأ الله عباده من عرب الجاهلية بهذا التبيُّن الذي طالبهم به وهم خِلْوٌ من القدرة عليه فكان لزاما أن تكون لهم قدرة يعلمها الله سبحانه وتعالى فيهم، وإن جهلوها هم من أنفسهم من قبل أن يطالبوا بهذا التبيُّن، وإلا يكن ذلك كذلك كانت المطالبة تعجيزا محضا لعباده يسقط منهم التكليف الذي تقتضيه هذه المطالبة، وتعالى الله أن يكلّف عباده أمرا هو سبحانه يعلم أنّه خارج عن قدرتهم خروجا لا إرادة لهم فيه. »[1]

2- إنصاف العرب:

طُبع العرب على أخلاق فاضلة كرينة فقد كان فيهم الحلم والأناة والكرم والجود والشجاعة والإقبال، وكانوا يحبّون الصّدق والوفاء، وهذا –طبعا- أمر لا يُنكر ، لذلك قال عليه الصلاة والسّلام: "بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"، لأنّ الإتمام يكون للأمر الذي وجد أصله ومعدنه لكن ما زال ناقص البناء والإحكام.

ويزيد هذا الإنصاف كمالا وحكما لما يتعلق الأمر بالبيان الذي يمثل المعبود الذي يخلص له القصد والتوجه يقول شاكر في وصف هذه الحالة: « إنّ البيان كان في أنفسهم أجلّ من

أن يخونوا الأمانة فيه، أو يجوروا على الإنصاف في الحكم عليه... »[1]

وأخرى أنّ الله سبحانه وتعالى لم ينصب للعرب حكما بل خلّى بيهم وبين الحُكم على ما يأتون به معارضين له، ثقة بإنصافهم في الحكم على البيان، فهذه التخلية هي مرتبة من الإنصاف لا تدانيها مرتبة.

3- اللّسان الذي نزل به القرآن الكريم:

إنّ نزول القرآن الكريم بلسان العرب وانتقاؤه من بين الألسن ليستوقف كلّ باحث لينظر في سرّ هذا الاصطفاء والتخيّر، وتتبّع وجه الحكمة من ذلك لأنّ القرآن كما اخبر عنه ربّ العزة تبارك وتعالى: "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"

يقول محمود شاكر: « إنّ اللّغة التي نزل بها القرآن معجزا قادرة بطبيعتها أن تحتمل هذا القدر الهائل من المفرقة بين كلامين: كلام هو الغاية في البيان فيما تطيقه القوى، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كلّ الوجوه. »[2]

❖ علاقة إعجاز القرآن الشعر الجاهلي:

إذا ثبت أنّ القرآن الكريم هو الدّليل على صحّة نبوّة محمّد صلى الله عليه وسلم وليس العكس، وجب أن يكون القرآن الكريم دليلا على نفسه إذ يحمل هو نفسه دلائل صحّته وبرهان كونه من عند الله تعالى، فكيف يكون القرآن دليلا على نفسه.؟

يكون القرآن دليلا على نفسه من طريق الإعجاز الذي اتصف به القرآن الكريم دون غيره من الكتب السّماوية السابقة، وثبوت صفة الإعجاز للقرآن تتوقّف على أن يسبق بمرحلة تستوجب كونه معجزا، وهي التحدّي؛ فلا يمكن عقلا وجود طرف ثبت إعجازه لخصمه إلا إذا وقع بينهما تحدّ في مسألة ما، وهذا التحدي يستلزم متحدّى، ولا مناص من وجود مجموعة إما أن تستجيب أو لا تستجيب.

لكن الشرط الأساس في استجابتهم من عدمها أن يكونوا أهلا للتحدي متّصفين بالكفاءة في ما تُحدّوا فيه، لذلك اختار الله تعالى العرب دون غيرهم ليقيم عليهم الحجة

فيما هم بارعون فيه وهو البلاغة والبيان، فالعرب وحدهم أهل فصاحة وبيان.

وهذه العبارة الأخيرة محلّ نظر عند المستشرقين ومن والاهم من دارسي الأدب العربي، لأنّ حسم هذه القضية لابدّ لها من دليل يؤيّدها وشاهد يدعمها، ولهم أن يتساءلوا: ما دليلكم على فصاحة العرب واقتصار ذلك عليهم ؟

قد لا نجد جوابا إلا أن نتذكر الشّعر الجاهلي؛ ديوان العرب الذي يمثل الشاهد على بلاغة العرب ومدى كفاءتهم الذوقية البيانية.

وبالتالي فطمس الشعر الجاهلي والتشكيك فيه يؤول إلى طمس بلاغة العرب والتشكيك فيها وسقوط شاهد إثبات بلاغة العرب يؤول إلى نزع أهلية التحدي عنهم، فتحدي من لا يعرف البلاغة بالبلاغة لا معنى له، إذن لا يمكن رصد إعجاز القرآن، إذن لا دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو بيت القصيد.

ويلخّص لنا "محمود شاكر" مضمون ما قرّر آنفا بقوله : فإنّ النّظر المجرّد والمنطق المتساوق والتمحيص المتتابع كلّ ذلك قد أفضى بنا إلى تجريد معنى إعجاز القرآن، مما شابه وعلق به حتى خلص لنا أنه من قبل النظم والبيان، ثم ساقنا الاستدلال إلى تحديد صفة القوم الذين تحدّاهم وصفة لغتهم، ثم خرج بنا إلى طلب نعت كلامهم، ثم التمسنا الشاهد والدليل على الذي أدانا إلى النّظر، فإذا هو: "الشّعر الجاهلي".

المحاضرة السابعة: إشكالية بيان وجوه الإعجاز عند العلماء.

من المسائل الأكثر تعقيدا في درس الإعجاز هي مسألة بيان الوجه الذي كان منه القرآن معجزا وقد تكلّم العلماء في وجوه الإعجاز فتباينت آراؤهم وتعدّدت، فمنهم من يذكر وجها واحدا ومنهم من يذكر بعض الأوجه، ومنهم من يذكر وجوها متعدّدة، حتى أوصلها السّيوطي في معترك الإقران إلى ثمانين وجها.

ويقصد بوجه الإعجاز الجزء الذي يتحقّق به الإعجاز، هل هو المعنى فقط؟، أو هو اللفظ فقط؟ أو مجموع ذلك، فيما يأتي ذكر لمجمل القوال التي بينت الوجوه التي كان بها القرآن معجزا:

أولا: ذهب قوم إلى أنّ القرآن معجز ببلاغته، التي وصلت إلى مرتبة لم يُعهد لها مثيل .

ثانيا: وذهب بعضهم إلى أنّ وجه إعجازه في تضمّنه البديع الغَريب المخالف لما في كلام العرب، من الفواصل والمقاطع .

ثالثا: وذهب آخرون، ومن أبرزهم أبو الهذيل العلاف، من المعتزلة، إلى أن إعجاز القرآن مقتصر على صدقه فيما أخبر به من مغيبات، حيث ذكر البغدادي، في "الفرق بين الفرق" أن من فضائح أبي الهذيل قوله: إنّ نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي، ولا دلالة على صدقه في دعواه النّبوة وإنّما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، ويعلّق الشيخ منّاع على هذا الرّأي بقوله: ((وهذا قول مردود، لأنه يستلزم أنّ الآيات التي لا خبر فيها عن المغيبات المستقبلة والماضية لا إعجاز فيها، وهو باطل ، فقد جعل الله كلّ سورة معجزة بنفسها.))[1]

رابعا: القول بالصَّرفة: وهو أنّ التحدي وقع للعرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن مع سلب قدرتهم عن ذلك بأنْ صرفهم الله عما هو في مقدورهم[2]، لكن جمهور هل العلم يرون ببطلان هذا القول جملة، إذ لا فائدة من التحدي مع إثبات هذا القول، وفيه تنقص لذات القرآن وعظمة نظمه وسيأتي الكلام على القول بالصرفة مفصلا في الدروس القادمة.

خامسا: وذهب البعض إلى أنّ القرآن معجز لما تضمّنه من العلوم المختلفة، أو ما يسمّى: "الإعجاز الشّمولي".

يقول ابن تيمية: ((وكون القرآن أنّه معجزة ليس من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ، والنظم والبلاغة، ومن جهة دلالة اللفظ العقلية التي هي الأمثال المضروبة...وكلّ ما ذكره الناس من وجوه إعجاز القرآن هو حجّة على إعجازه ولا تناقض في ذلك **بل كلّ قوم نبّهوا لما تنبّهوا له.**))[1]

وقد رجّح[2] الشيخ "**منّاع القطّان**" من المعاصرين؛ القول بأنّ القرآن معجز، في كلّ هذه الأوجه، فلا يقتصر إعجازه على وجه منها دون الآخر، وأما الدكتور محمد لطفي الصباغ ، فقد رجح القول بأنّ إعجاز القرآن، وإن كان شاملا لكلّ هذه الأوجه، إلا أنه يتركز أساسا، في النّواحي اللّغوية، التي تتعلّق بلفظه ونسقه وبيانه ونظمه، لأنّه أنزل على قوم صناعتهم البلاغة، فكانت معجزتهم في عين ما برعوا وتفوقوا فيه.

المحاضرة الثامنة: صفة الكلام عند الفرق الإسلامية وانعكاساتها على مفهوم الإعجاز.

- **صفة الكلام عند الفرق:** اكتفيت في بيان صفة كلام الله تعالى بذكر ثلاث فرق تتجلى فيها خصوصية في الاعتقاد والمفهوم حول هذه المسألة، لذلك يتطلب منا توضيح أصول اعتقاد هذه الفرق في صفة الكلام، ثم بيان مدى انعكاس هذه الخصوصية على مفهومهم لإعجاز القرآن !

1- مذهب أهل السنّة والجماعة في صفة كلام الله تعالى:

من أوائل المسائل التي خاضَ فيها أهل الأهواء هي مسألة: "خلق القرآن" والذي تولى كبرها صناديد المعتزلة، وابتدأت على يد المأمون سنة 212هـ، ومرت على عهد المعتصم بالله وعهد الواثق بالله ثم أطفأها الله تعالى على يد المتوكل على الله سنة 242هـ.

وقد اعتنى أئمّة السّلف بهذه المسألة فأوْلوها أهمية كبيرة، وأودعوها كتبهم في باب العقائد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فإنّ السّلف وأئمة السنة والحديث يقولون: يتكلم بمشيئته وقدرته؛ وكلامه ليس بمخلوق؛ بل كلامه صفة له قائمة بذاته. وممن ذكر أنّ ذلك قول أئمّة السنّة: أبو عبد الله ابن منده، وأبو عبد الله ابن حامد، وأبو بكر عبد العزيز وأبو إسماعيل الأنصاري وغيرهم؛ وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البرّ... وأئمّة السنّة - كعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومن لا يحصى من الأئمّة. »[1]

2- مذهب المعتزلة[2] في صفة كلام الله تعالى:

لقد كانت البدايات الأولى للمعتزلة مع القدر والأسماء والصّفات والإيمان بما يتعلّق بصاحب الكبيرة، ثم لما تطاول الزنادقة على الإسلام ظهر أعلام الاعتزال للدّفاع عن بيضة الإسلام فأرادوا أن يدفعوا الزندقة فأحدثوا بدعا متكاثرة، وردوا الإلحاد بالابتداع

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: « وأمّا مذهبنا في ذلك فهو أنّ القرآن كلام الله تعالى

ووحيه، وهو مخلوق مُحْدَث.))[1]

ولما اعتقدت المعتزلة هذا الاعتقاد في كلام الله تعالى بأن جعلته مخلوقا من مخلوقاته كان منها قياسا على آيات الأنبياء الأخرى وهذا الذي جرّها إلى مذاهب منحرفة في الإعجاز كمثل القول بالصّرفة.

3- مذهب الأشاعرة[2] في صفة كلام الله تعالى:

مذهب الأشاعرة من المذاهب العقدية التي استقطبت الكثير من الأتباع وهو مذهب كلامي قام بإزاء مذهب الاعتزال فقاومه مقاومة عنيفة ورد عليه في مسائل كثيرة.

فالأشاعرة تسفّه المعتزلة في جعلها كلام الله تعالى مخلوقا، وهي ترى أنّ كلامَه سبحانه صفة من صفاته، لكنها جعلته كلاما نفسيا قديما.

فحد الكلام عند الأشعرية كما بينه[3] أبو المعالي الجويني - وهو من أكابر الأشاعرة — أنه القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات، فهو ليس تلك الأصوات والحروف بل هو ذلك الفكر الذي يدور في الخلد، وهذا القول مخالف لما ذهب إليه المعتزلة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الطائفتين: أنهما تنكران أن يكون الله تعالى تكلم بحروف القرآن وأنها كلامه على المعنى المعروف الذي يعلم الناس أنه بكلام المتكلم. [4]

والذي نصل إليه من خلال ذكر اعتقاد الطوائف والفرق في كلام الله تعالى هو أن عدم الاتفاق في تصور حقيقة القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى يؤدي حتما إلى عدم الاتفاق في تناول قضية إعجاز القرآن الكريم، ومن بين مظاهر الاختلاف هو أنّ المعتزلة تناولت مباحث الإعجاز في كتب الاعتقاد، لكن الأشاعرة تناولته في كتب البلاغة والبيان.

المحاضرة التاسعة: نظرية القول بالصَّرفة، وموقفنا منها (رأي النظام ومن تابعه، إبطال هذا القول.

تتناول هذه المحاضرة نظرية مصنفة كوجه من وجوه إعجاز القرآن، وهي ما يسمى بـ"الصَّرفة" وهي مقولة تنسب إلى النظام الجبائي شيخ الجاحظ، ولما كان تعلقه مباشرا بتصور درس الإعجاز تطلب علينا بيان معنى الصرفة في اللغة والاصطلاح وموقف أهل السنة منها، وكلام أهل العلم حول إثباتها أو نفيها، وذلك من خلال النقاط الآتية:

الصّرفُ في اللُّغة:

الصَّرْفُ: هو رَدُّ الشّيء عن وجهه صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ وصارَفَ نفْسَه عن الشيء صَرفَها عنه وقوله تعالى ثم انْصَرَفوا أَي رَجَعوا عن المكان الذي استمعُوا فيه وقيل انْصَرَفُوا عن العمل بشيء مما سمعوا، ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة:127]. أَي أَضلَّهُم اللّه مُجازاةً على فعلهم وصَرفْتُ الرجل عني فانْصَرَفَ... وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان:19] أَي ما يستطيعون أَن يَصْرِفُوا عن أَنفسهم العَذابَ... والصَّرْفُ أَن تَصْرِفَ إنساناً عن وجْهٍ يريده إلى مَصْرِفٍ غير ذلك وصَرَّفَ الشيءَ أَعْمله في غير وجه كأَنه يَصرِفُه عن وجه إلى وجه. (1)

فمن خلال المعنى اللّغوي نستنتج أنّ مادة "صرف" تدور حول معنى "تغير شيء عن وجهته وأصله" ومعنى التغير واضح تماما في معنى صرف العرب عن معارضة القرآن فهم محوّلون من منحى الإتيان بمثل القرآن إلى عدم الإتيان بمثله.

الصّرفة في الاصطلاح: يقصد بالصرفة : منع العرب من معارضة القرآن، ولولاها لاستطاع العرب معارضة القرآن والإتيان بمثله. وهو المعنى المشهور لها.

وأوّل من قال بالصّرفة هو: "إبراهيم بن سيّار النظام البصري المعتزلي" المتوفّى سنة: 231هـ وهو من أقران أبو عمرو الجاحظ، ولم يحفظ قول النّظام في مدوّنة أو كتاب خاصّ حتى يمكّن الباحثون من التحقّق من معنى كلامه.

يقول الشّريف المرتضى في بداية الفصل الذي عقده للبحث عن موضوع الصّرفة: ((وقد

حكي عن النظام القول بالصرفة من غير تحقيق لكيفيتها وكلام في نصرتها. ››[1]

وقد نسب القول بالصرفة أيضا إلى أبي اسحاق الاسفرائيني، وابن حزم الظاهري.

من الآراء التي كان النظام يقررها أنّ الإنسان لا يقدر على ما لا يخطر بباله، فقدرته مقيدة بمدى علمه وما يخطر بباله فهو يعلم ثم يريد ثم يفعل، فالعجز ليس في القدرة الإنسانية ولكن في الاستطاعة التي منحها الإنسان حيث عجزت عن الإتيان بمثل القرآن حيث حاولت ففشلت لأنّ المنحة محدودة والقدرة لها نهاية ولا حيلة معها، وهكذا أراد المانح سبحانه، ولو زاد في العطاء لزادت القدرة في الاستطاعة ولأمكن الإتيان بمثل القرآن.[2]

ذكر العلماء أنّ جميع أوجه الصّرف التي تحدّث عنها القائلون بها لا تخرج عن ثلاثة أوجه:

1. **الأولى**: صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة يقول الرّماني مبيّنا هذا الوجه من الصّرفة : ‹‹ وأمّا الصَّرْفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أَهل العلم في أنّ القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات الّتي دلّت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز الّتي يظهر منها للعقول ››[3] .
2. **الثانية**: سلبهم آليات وعلوم وأدوات المعارضة، وفي هذا يقول ابن سنان الخفاجي: ‹‹ وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن : صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكّنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك... ››[4]

وقال السيّد المرتضى وهو من فرقة الشيعة: ‹‹ إنّ تعالى سلب العرب العلوم الّتي كانت تتأتّى منهم بها الفصاحة الّتي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم. ››[5]

3. **الثالثة**: توفر الدّواعي والهمم والعلوم ولكن لم يمنعهم إلا غلبة القوة الإلهية على القوة

البشرية ومحدودية استطاعة البشر، وعلى هذا الوجه يحمل كلام العديد من القائلين بصرف العرب عن معارضة القرآن رغم توفر الدواعي يقول السّيوطي: « لما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن وعجزهم عن الإتيان بمثله ولم يتصدّوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أنّ صارفا إلهيا صرفهم عن ذلك، وأيّ إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزة في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها. »[1]

وقد استبعد الدكتور محمّد رجب البيومي أن يكون النّظام عنى بالصّرفة صرف الهمم عن معارضة القرآن ابتداء.

وردّ عن مصطفى صادق الرافعي الرافض للصّرفة، ووصف رأيه بالواهي والباطل، يقول في ذلك: « فهل يكون أمثال النظام والمرتضي وابن حزم وابن سنان قد قالوا بالصرفة على هذا المعنى الذي لا يقره عقل، إنهم أكبر من أن يتجهوا هذا الاتجاه، وقد بحثت كثيرا في هذا الموضوع حتى رأيت القاضي عبد الجبار ت415هـ، يقول بالصرفة لا على أن الله قد صرف العرب عن معارضة القرآن وفي مقدرتهم أن يعارضوا بل أنهم حين وجدوا القرآن قد فاق الحدّ المعقول من بلاغتهم خافوا الفشل في المعارضة، فانصرفوا منم تلقاء أنفسهم، وهذا هو المعقول عن منحى القائلين بالصّرفة... وهذا التفسير الذي دونته لم يلمّ به الرافعي بل اكتفى بترداد التفسير الشّائع عن الصّرفة، فانبرى لهدمه، وهو رأي يتحمّل أن يهدمه طفل صغير، فكيف بالرافعي.؟ »[2]

كما ذهب الدّكتور محمّد أبو موسى إلى أنّ النّظام من البلغاء الذين لا يغيب عنهم الفرق الظاهر بين القرآن وكلام الناس وأنه « إنما رمى بهذا القول في حومة الجدل ولجاجة الخصومة ولم يقله عن دراسة ومراجعة وتمام وإقناع. »[3]

وقد خلص الباحث عبد الرحمن الشهري في كتابه الجامع الماتع "القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد" [4] خلص إلى أنّ للصرفة معنيان رئيسان، أحدهما مقبول، والآخر مردود.

فالمردود: هو الزعم بأن العرب لو لم تُصرف عن المعارضة لجاءت بمثل القرآن، والمقبول: هو أنّ العرب قد انصرفت عن المعارضة بعد تيقنها العجزَ عن ذلك. فيُحمل كلام المعارضين للصرفة على المعنى المردود، ويُحمل كلام المجزين لها على المعنى المقبول، كما ذهب إليه الرماني، والاسفرائيني، وهو مراد كلام ابن كثير وشيخ الإسلام ابن تيمية.

كما أنّ القول بالصّرفة يتوافق فيلا معناه المقبول مع قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:24]. بمعنى أنه صرْفٌ قدَري يؤكد الإعجاز مع توفر الدواعي للمعارضة، وهذا وجه يمكن قبوله على وجه التنزّل مع الخصم، غير أننا لا نعتقد بأنّ ذلك يعود إلى قدرة الله تعالى؛ لا إلى طبيعة القرآن.

❖ الأدلّة العامّة على إبطال القول بالصّرفة كوجه لإعجاز القرآن [1]:

1- قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:88].

يدلّ على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبقَ فائدة لاجتماعهم لأنهم عندئذ كالموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره.

2- إجماع العلماء أنّ الإعجاز مضاف إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز؟ بل في هذه الحال يكون المعجز هو الله سبحانه وتعالى وليس القرآن بنظمه وتركيبه وهذا باطل.

3- يلزم القول بالصّرفة زوال الإعجاز، وهو خرق لإجماع الأمّة على أنّ المعجزة النّبي محمد العظمى باقية ما بقي الزّمن.

4- لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصّرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا، فلا يتضمّن - حينئذ - الكلام فضيلة على غيره في نفسه.

وقد يجر الاستئناس بمثل هذه الأقوال إلى التطرف والشذوذ، كالذي صرح به ابن سنان الخفاجي: لا فرق بين القرآن، وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية. [2]

- **بعض المؤلفات في نظرية "الصّرفة":**

- **الموضح عن جهة إعجاز القرآن " الصرفة"**، للشريف المرتضي علي بن الحسن الموسري ت:436هـ، طبع هذا الكتاب في إيران من طرف مؤسسة الطبع والنشر بمدينة مشهد الإيرانية 1424.
- **الصّرفة لابن سنان الخفاجي**: ذكره صاحب وفيات الأعيان، وياقوت الحموي في كتابه: "معجم الأدباء".
- **تثوير القول بالصّرفة دراسة في إعجاز القرآن**، محمود توفيق محمد سعد، نشره المؤلف في القاهرة، 1427هـ.
- **القول بالصرفة في إعجاز القرآن–عرض ونقد–** عبد الرحمن بن معاضة الشهري، طبعته دار ابن الجوزي، 1432هـ.

المحاضرة العاشرة: حيثيات الفرق بين المعجزات في الكتب السّماوية السابقة وبين ماهية المعجزة القرآنية.

رسالة الله تعالى إلى البشر هي منهجه الذي يريد تعالى من البشر اتباعه أو هي مجموعة أحكام التكليف ويقوم الرّسل بحمل هذه الرّسالة.

وحتى يصدّقهم البشر لابدّ من تأييدهم بمعجزات تكون دليلا على صدقهم، ومن هنا نميّز بين مسألتين: هما المنهج من جهة والمعجزة المصدّقة لهذا المنهج من جهة أخرى.

موسى عليه السّلام	المنهج (التوراة)	المعجزة (العصا)
عيسى عليه السّلام	المنهج (الإنجيل)	المعجزة (إحياء الموتى بإذن الله)

الفرق الأوّل: ففي الرسالات السّابقة نرى أنّ المعجزة منفصلة عن المنهج انفصالا تامّا فكتاب التّوراة غير عصا موسى، وكتاب الإنجيل منفصل عن إحياء الموتى.

لكن في الرّسالة الخاتمة، وهي القرآن الكريم نرى أنّ المعجزة ملتحمة مع المنهج، فالقرآن الكريم هو معجزة ومنهج في آن معاً، وهذا ما يدلّ على أنّه كتاب خاتم شامل تامّ، وفيه سعادة البشر أجمعين على اختلاف زمانهم ومكانهم وألسنتهم.

ولذلك حينما طلب الجاحدون والمبطلون بالرسالة الخاتمة طلبوا من الرسول آيات كونية جاء الردّ الإلهي مبيّنا أنّ القرآن يكفيهم لطلبهم الذي طلبوه، وبالتالي فالقرآن الكريم يتضمن من المعجزات والدّلائل ما لا يعلم قدره إلا الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: 51-52].

وفي هذا ذكر الرّازي في تفسيره لهذه الآية أنّ من الوجوه الدّالة على كون معجزة القرآن أتمّ من كلّ معجزة تقدّمتها أنّ تلك المعجزات وجدت لكنه ما دامت، فإنّ قلب العصا ثعبانا وإحياء الميت لم يبقَ لنا منه أثر، فلو لم يكن واحد يؤمن بكتب الله ويكذب بوجود هذه الأشياء لا يمكن إثباتها معه بدون الكتاب، وأمّا القرآن فهو باقٍ، ولو أنكره واحد

فنقول له: فأتِ بآية من مثله. [1]

الفرق الثاني: انفردت المعجزة القرآنية الخاتمة بخصوصية عن المعجزات السابقة وهي تحوّلها من ماهية المعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله، وذلك بالانتقال من ساحة معجزات **عالم الخلق** (**حسية**) قبل الرسالة الخاتمة حيث كذّب بها الأولون؛ إلى معجزة تنتمي إلى **عالم الأمر** (**معنوية**) وهي صالحة لكلّ زمان ومكان تكفي عن كلّ المعجزات التي يطلبها البشر؛ وهي ذات المنهج.

وقد جاءت هذه الحقيقة ظاهرة جلية في آية من آيات سورة الإسراء عند قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا مَنَعَنَآ** أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ **إِلَّآ** أَن **كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ** وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا٥٩﴾ [الإسراء: 59].

فكون معجزة القرآن الرّسالة الخاتمة مستمرّة ما بقي الزّمان والمكان يقتضي ذلك عدم انتمائها إلى ساحة المعجزات الكونية، وهذا يقتضي كونها فوق التاريخ والمكان والزّمان.

الفرق الثالث: انفراد القرآن الكريم بالتنزيل من عند الله تبارك وتعالى (**من الفعل نزّلَ**) في حين اشترك مع الكتب السّماوية السّابقة الأخرى كونه مُنْزَلا من عند الله تعالى (**من الفعل أَنْزَلَ**). وهذا ما يدعونا إلى السّؤال عن الفرق بين الإنزال والتنزيل؟

تباينت قوال العلماء في بيان الفرق بين الإنزال التنزيل فمنهم من يرى أنّ إنزال الأمر من الفعل أنزل من ساحة إلى ساحة يعني تحوّله بما يوافق قوانين الساحة التي أنزل إليها.

أمّا تنزيل الشيء (من الفعل نَزَّلَ) من ساحة إلى ساحة لا يعني تحوّلا من ماهية المنزّل كما لا يعني تحوّلا في ماهية المنْزَل. فالتنزيل يعني ثبات ماهية المنزّل بين ساحتي التنزيل. [2]

حال المفعول به قبل الإنزال	حال المفعول به قبل التنزيل
أَنْزَلَ	**نزَّلَ**
تغيّر حالته بعد الإنزال	**ثبات الحالة** بعد التنزيل

ومنهم من فرّق بين الإنزال والتنزيل على أنّ الإنزال يكون دفعياً والتنزيل يكون تدريجياً. (1)

قال الرّاغب: ((الفرق بين الإنزال والتنزيل أنّ التنزيل يختصّ بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام.))(2)

كما يذكر أهل اللّغة أنّ التنزُّل يرد بمعنى النّزول على مَهَلٍ أو التدريجي. (3)

ويتجلى هذا التبيان عند قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣﴾ [آل عمران: 3]. فالتوراة أُنزل في الألواح على نبي الله موسى دفعةً واحدة وكذلك الإنجيل لذلك ناسب التعبير عنه بـ (أَنزَل).

أمّا القرآن فإنه نزل على رسول الله منجّماً مفرَّقاً على مر سنين بعثته صلى الله عليه وسلّم لذلك ناسب التعبير عنه بـ(نزَّل) المشدّد.

أما إذا قيل بأنّ الإنزال أضيف أيضا إلى القرآن في بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[القدر: 1]. فذلك لأنّ القرآن نزل على كيفيتين فقد نزل ليلة القدر دفعةً واحدة ونزل منجّما حسب أسباب النزول.

فالتنزيل بناء على مضمون الرأيين هو الصفة المميزة التي انفرد بها القرآن الكريم وهي الصفة التي تحوي المزية والفضل، فالتنزيل هو التمهّل والتريث، والتنزيل(4) هو: تَرْتِيبُ الشَّيْءِ وَوَضْعُهُ مَنْزِلَهُ.

الفرق الثالث: من الخصائص التي انفرد بها القرآن الكريم هي انفراده بعمق التأويل الذي لا يعلمه إلا الله جلّ وعلا.

فلمّا كان القرآن كلام الله سبحانه ولما كان علم الله تعالى لا تحيط به المخلوقات وقدرته تفوق حدود التصور والإدراك كانت الدّلالات التي يحملها النصّ القرآني لا متناهية وغير

محدودة ولا يكشف عن مضامينها إلا الله جلّ وعلا، ولا يمكن للمخلوقات جميعا أن تحيط بالقرآن وإن اجتمعت.

قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ [الأعراف: 53]

وقال سبحانه: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: 39].

فالنصّ القرآني ذاتُه يحمل عُمقين اثنين: **عمقٌ ظاهرٌ محكمٌ**، يعني دلالاته الظاهرة وهو عمق تدركه المخلوقات، وفي هذا يشترك القرآن مع غيره من الكتب السّماوية، **وعمقٌ باطنٌ متشابه؛** وهو عمق التأويل-الوارد في الآيات السّابقة- الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى. وبهذا العمق الأخير انفرد القرآن عن غيره من الكتب السّماوية السّابقة.

المحاضرة الحادية عشر: الاختلاف في القدر المعجز من القرآن.

جاء القرآن الكريم مثبتا التحدي بالقرآن كلّه، وبعشر سور مثله، وبسورة مثله، وبحديث مثله، وكله وارد في القرآن الكريم. (1)

وقد وقع الخلاف بين العلماء في أقلّ قدر يكون به القرآن معجزا، وفيما يأتي ذكر لمجمل الأقوال الواردة في ذلك:

أولا : ذهب المعتزلة إلى أنّ الإعجاز يتعلّق بجميع القرآن لا ببعضه. (2)

ثانيا : ويذهب البعض إلى أن المعجز منه القليل والكثير ، دون تقييد بسورة ، أي: بما يصدق عليه أنه قرآن، لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ [الطور: 34]. (3)

ثالثا : وذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة، قصيرة كانت أو طويلة، وهذا ما ذكره ابن كثير ونقل الاتفاق عليه(4) وهذا موافق لتعريف الجمهور للقرآن، حيث قالوا بأنه: الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته.

بل إن الزرقاني يحكم بخطأ من رأى أن القدر المعجز كل القرآن أو أقل من السورة، وهذا بناء على ظاهر القرآن، يقول: « بهذا يتبين لك أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه، وأن القائلين بأن المعجز هو كلّ القرآن لا بعضه؛ وهم المعتزلة، والقائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه قرآن ولو كان أقلّ من سورة، كل أولئك بمنأى عن الصّواب وهم محجوجون بما بين يديك من الآيات. »(5)

وقد ذهب منّاع القطان إلى أنّ الإعجاز لا ينحصر في قدر معيّن، « لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسّورة، فالقرآن كلام الله وكفى. »(6)

وهذا ما أميل إليه لأنّ الإعجاز يحصل بكلّ ما يصدُق عليه أنّه قرآن، حتى وإن كانت كلمة من القرآن وصح تسميتها قرءانا لأنّ من الآيات ما هو كلمة، نحو: "مُدْهَامَّتان"، ومع ذلك فالآية معجزة في موضعها، ولا يستطيع أي أحد أن يأتي بكلمة تقوم مقامها وتؤدي معناها في هذا السّياق.

وهذا ما أراد شيخ الإسلام ابن تيمية تأكيده حين قال: ((فإنّ القرآن له شأن اختصّ به لا يشبهه كلام البشر لا كلام نبيّ ولا غيره ... فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسُورة، ولا ببعض سُورة مثله.))[1]

ولم نسمع إلى حدّ هذه اللّحظة أنّ أحدا أتى بكلام استطاع فعلا معارضة القرآن سواء أكان كثيرا أو قليلا، إلا ما أتى فأضحك، أو انتقص من نفسه. والله أعلم.

المحاضرة الثانية عشرة: الإعجاز بالنّسبة للأعجمي ومن ليس ببليغ.

هذه المحاضرة خُصّصت للحديث حول كيفية إدراك الإعجاز للأعاجم وغير الناطقين بالعربية مع أنّ كلّ البشر في خطاب الشّارع الحكيم مكلّفون بتدبّر القرآن وتذوّق حلاوته طلبا للاعتبار والامتثال، فإذا كانت البلاغة والبيان هي مكمن الإعجاز ومحلّه، فكيف بمن لا يمتلك هذه الأداة، أو لا يتقنها؛ أن نسميه عاجزا عن الإتيان بمثل القرآن وهو يفتقد إلى أدنى أدوات المعاجزة؟

للإجابة عن هذا الإشكال نذكر ما قاله العلماء عن قضية الإعجاز للأعجمي، فهذا الجصاص في أحكام القرآن يرى أنه من المعلوم أن العجم لا يُتحدّون من طريق النّظم، فوجب أن يكون التّحدي لهم من جهة المعاني، وترتيبها على هذا النِّظام، كما جوّز الجصاص أن يكون التحدي واقعاً للعجم بأن يأتوا بكلام في أعلى طبقات البلاغة بلغتهم التي يتكلّمون بها. [2]

فالبلاغة في الحقيقة غير مقتصرة على الألفاظ فقط، قال الجرجاني: ((وليت شعري، هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها؟.))[3]

وفي كلمة "الوليد بن المغيرة" الشهيرة في وصف القرآن بالحلاوة، والطّلاوة، والإثمار والإغداق وكلّها أوصاف تعمّ الألفاظ والمعاني، فإن فاتَ الأعجميّ إدراك بلاغة الألفاظ، فعليه أن يبذل وسعه في إدراك طرف من إعجاز معانيه بسؤال أهل العلم ومطالعة ترجمات معانيه.

أمّا الإمام الباقلاني –رحمه الله– فيذكر أنّ الأعاجم ومن كان لسانُه غير العربية من

العجم والتّرك وغيرهم لا يتهيّأ لهم معرفة الإعجاز إلا بأن يعلموا أنّ العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأنْ علموا أنهم تُحدّوا إلى أن يأتوا بمثله، وقرّعوا على ترك الإتيان بمثله ولم يأتوا به؛ تبّينوا حينها أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللّسان فهم عنه أعجز فالباقلاني يريد إثبات التحدي غير الصّريح لهذه الفئة، فيكون الإعجاز لهم أيضا بالقوّة وليس صريحا، يعني: أنّ كلّ من ضعفت لغته على لغة العرب زمن البعثة فهو أولى بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن، هذا من كان لسانه عربيا إلا أنه لا يبلغ في الفصاحة والبيان ما بلغته لغة زمن البعثة، فضلاً على من كان لسانه أعجميا، فهو من باب أولى عاجز عن معارضة القرآن؛ وهذا ما أراد الباقلاني تبيانه.

وأيضا إقرار العرب على أنفسهم بالعجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن أمر ناطق بعجز العجم من باب أولى.

كما سوّى الباقلاني في مسألة إدراك الإعجاز بين أعجمي اللّسان وبين عربي اللسان لكنّه ليس بفصيح، إذ يقول: « إنّ من كان من أهل اللّسان العربي إلا أنّه ليس يبلغ في الفصاحة الحدّ الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرّف اللّغة وما يعدونه فصيحاً بليغاً من غيره؛ فهو كالأعجمي في أنّه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بيّنَا أن يعرف به الناس الذي بدأنا بذكره وهو ومن ليس من أهل اللّسان سواء . »[1]

وهذا طبيعي، فإنّ الناس تتفاوت قواهم في إدراك الإعجاز نظرا لتفاوت عقولهم وعلومهم، فإنّ فيهم الذكي والأذكى والبليد والأبلد، وبينهما كثير، وبالتالي فإن قضية عدم إدراك الأعجمي للإعجاز ليس دليلا على انتفاء حجة القرآن، أو كونه من عند غير الله.

أما السّيوطي في معتركه فيجيب عن هذا المسألة بمعنى طريف حين تساءل: هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة أم لا؟ إذ بيّن أنّ ظهور ذلك على النبي – صلّى الله عليه وسلم – يعلم ذلك ضرورة، وكونه مُعجِزا يُعلم بالاستدلال، ونقل عن أبي الحسن الأشعري؛ قوله: والذي نقوله إنّ الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من ليس ببليغ.

فأمّا البليغ الذي أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصّنعة، فإنّه يعلم من نفسه ضرورة

عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله. [1]

المحاضرة الثالثة عشرة: هل وقع التحدي للإنس دون الجن.؟

تعدّدت أقوال العلماء في تحديد المتحدى بالقرآن الكريم، ففي الوقت الذي يرى فيه بعض العلماء[2] أنّ القرآن تحدى الخلق كلّهم من الجنّ والإنس بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن بقوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾ [الاسراء:88]. حيث أفاد بذلك عجز الجميع عنه في حال الاجتماع والانفراد.

يرى آخرون أنّ « التحدّي إنما وقع للإنس دون الجنّ، لأنّ الجنّ ليسوا من أهل اللّسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه وإنما ذكروا في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾ تعظيما لإعجازه، لأنّ الهيئة الاجتماعية لها من القوّة ما ليس للأفراد، فإذا فرض اجتماع جميع الإنس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز. »[3]

وهذا الذي ذكره الزرّكشي وارتضاه نقله عنه السّيوطي[4] قائلا: قال بعضهم...."كما ذكره الألوسي[5] وردّه

وجمهور العلماء على أنّ التحدي قد وقع للإنس والجنّ[6]، وتخصيصهما بالذّكر لأنّ المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما والتحدي إنما كان معهما [7].

وقيل: لأنّه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الثقلين دون الملائكة. [8]

ولعلّه لم يذكر الملائكة في آيات التحدي لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه.[9]

وмما يدلّ على أنّ الجنّ داخلون في التحدي أنّ الله تعالى جعل كتابه هداية للثقلين فينتظم بها الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان [1]، قال سبحانه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:19]

أي: ومن بلغه القرآن، وقد تحداهم عليه السلام بالقرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:88]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف:29-31].

قال القرطبي –رحمه الله-: ((وهذا يدلّ على أنه –أي النّبي صلّى الله عليه وسلم- كان مبعوثا إلى الجنّ والإنس.))[2]

ويدلّ على ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.))[3]

فإذا كان الجن مخاطبين بالآيات مقصودين بالإنذار فقد صحّ أن يقع التحدي لهم.

قائمة المصادر والمراجع:

-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974 م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن، وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، ابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ- 1999م

-إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الدين الخالدي، دار عمار، عمان ط1 1421هـ- 2000م

-إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس.

-إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، د. منير سُلطان.

-إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني محمد -عبد العزيز العواجي، دار المنهاج، الرباط، ط1، 1427هـ.

-إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، مصطفى صادق الرافعي

-إعجاز القرآن، الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م

-الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة نقدية للكتاب.

-البرهان في علوم القرآن، الزرّكشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط1، 1376هـ- 1957م

-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، دط.

-التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997م.

-التعريفات، علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م

-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419هـ، ج1، ص112.

-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للخطابي، والرّماني، وعبد القاهر الجرجاني.

-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط2، 1384هـ.

-دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته، د.البدراوي عبد الوهاب زهران.

-دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، محفوظة للمؤلف، ط12، 1424هـ-2003م

-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ، 1992م

-روح المعاني، الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1415هـ.

-الصحاح، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987م

-علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ- 1993م.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ،

-القول بالصرفة في إعجاز القرآن -عرض ونقد-، عبد الرحمن الشّهري، دار ابن الجوزي السعودية، ط1، 1432هـ

-كتاب إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني.

-الكليات، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1419هـ- 1998م

-مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط3، 1426هـ-2005م

-مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية 1416هـ -1995م

-مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية مصر، 2005.

-المعجزة الكبرى، د. عدنان الرّفاعي.

-معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م.

-معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ

-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق، ط1، 1412هـ.

-مقالات الإسلاميين، أبو موسى الأشعري، نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ- 2005م

-النّكت في إعجاز القرآن، الرماني، ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.